# قراءة سوسيولوجية حول فعل المقاولة في الجزائر

*Sociological reading about the act of entrepreneurship in Algeria*

**د. فؤاد نعوم**

جامعة زيان عاشور – الجلفة-

naoumntfs@gmail.com

**ملخص:**

تهدف هذه الورقة البحثية إلى رصد أهم الدراسات الجزائرية التي تناولت موضوع المقاولةفي الجزائر،حيث تشكل طبقة المقاولين الجزائريين محل اسهامات ومقاربات نظرية عديدة من طرف الكثير من الباحثين، الذين حاولوا دراسة كل ما يتعلق بظروف نشأته والعوامل التي أدت إلى تشكله وخصائص الفاعلين والمساهمين فيه،فأردنا بذلك رصد خصائص هذه الطبقة الهامة في المجتمع الجزائري، وكذا الذهنية والأساليب التي يعتمد عليها المقاول في تسيير مؤسسته، واستراتيجياته في التسيير والتوظيف والتسويق والتعامل مع المحيط الداخلي والخارجي للمؤسسة، هذا كله من خلال تحليل أهم الأطر السوسيولوجية التي تناولت فعل المقاولة بالجزائر.

**الكلمات المفتاحية:** المقاولة، فعل المقاولة؛مقاربات سوسيولوجية؛ ذهنية المقاول؛ المقاول الجزائري.

Abstract:

This research paper aims to monitor the most important Algerian studies on the subject of entrepreneurship in Algeria, where the class of Algerian entrepreneurs is the subject of many contributions and theoretical approaches by many researchers, who tried to study everything related to the circumstances of its origins and the factors that led to its formation and the characteristics of its actors and contributors, We wanted to monitor the characteristics of this important class in Algerian society, as well as the mentality and methods on which the contractor depends on the management of his organization, and strategies in the management, recruitment, marketing and dealing with the internal and external environment of the institution, all through the analysis of the most important frameworks Which addressed the biological reaction of entrepreneurship in Algeria.
Keywords: entrepreneurship; act of entrepreneurship; sociological approaches; entrepreneur mentality; Algerian entrepreneur.

**مقدمة :**

يعد المجتمع الجزائري من المجتمعات النامية التي تسعى لبناء قاعدة اقتصادية قوية، كانت البداية مع التصنيع التركيبي في سبعينيات القرن العشرين، غير أن عملية النقل تخللها خلل في نقل التكنولوجيا وتوطينها، ومع التحولات التي فرضت على مستوى الاقتصاد العالمي، كانت الوجهة إلى المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، من أجل خلق ثقافة المؤسسة في مجتمع يكاد يكون تقليدي، غير أن الشيء الملفت للانتباه هو الفرد الحامل للمشروع ووعيه بمشروعه، حديث العهد بهذا النشاط في صيغته المعاصرة، لا يجد النماذج التي يمكنه محاكاتها على غرار تلك النماذج العائلية القديمة، أو تلك النماذج الاستعمارية المميزة الأصول والثقافة والقيم التنظيمية، يجد نفسه بين مجالات متعددة ومنظومة قيم متصارعة ما بين التقليد والحداثة، ترسم له مجاله الاجتماعي الذي يتفاعل فيه. وأن الروابط الاجتماعية التي نشأ الفرد المقاول ضمنها أصبحت في المجتمع المحلي بالأخص تشكل حتمية لأفعال الأفراد وتشكل لهم هويات اجتماعية ذات قالب موحد، نظرا لقوة الرابط الدموي والقرابي، الذي يؤجج مشاعر الوحدة والتضامن الآلي بين أفراد المجتمع المحلي المشبع بنموذجه الثقافي المغلق.

لذلك جاءت العديد من الدراسات والأبحاث التي تناولت الفعل المقاولاتي والمقاولة بصفة عامة في الجزائر، نتيجة للدور الاقتصادي والاجتماعي الذي تلعبه في سيرورة المجتمع، فهي جسر يوصل بين الابداع والابتكار والتطبيق، وهذا بتسخير عوامل الإنتاج الثلاثة: الطبيعة، العمل، ورأس المال، بالإضافة إلى المقاول الذي يعد المحرك لهذا النسق. ومن هنا يمكن أن نطرح التساؤل التالي: ما هي أهم المقاربات الجزائرية التي تناولت فعل المقاولة في الجزائر ؟

وبناء على هذا التساؤل جاءت دراستنا مقسمة الى محورين رئيسيين كتالي:

المحور الأول: مفهوم المقاولة والرابط الاجتماعي

المحور الثاني: فعل المقاولة في الدراسات الجزائرية

**المحور الأول: المقاولة والرابط الاجتماعي**

**تحديد مفهوم المقاولة:**

يرتبط تحديد مفهوم المقاول بالنموذج الاقتصادي السائد في المجتمع الذي ينتمي اليه كما يرتبط بالمنظورات التفسيرية في هذا المجال فتارة يرتبط مفهوم المقاول بمبدأ المخاطرة في سوق لا يقيني وبهذا يكون كل من التاجر والمزارع والحرفي هم مقاولون لان عائداتهم غير مؤكدة اذن فهو حسب هذا الطرح:" الفاعل الاقتصادي الذي يخوض المخاطر ويواجه لا يقين السوق".

والمقاول يصفه Walrasبأنه لا يختلف عن باقي الفاعلين الاقتصاديين، بحيث يجمع وينسق مختلف عوامل الانتاج،(Alain Fayolle.2005.p16) الرأس مال والعمل وذلك حسب السعر النسبي لكافة هذه العوامل في السوق، بحيث يتحصل العامل على أجر مقابل جهده، والرأسمالي على فوائد مقابل استثماره.

فالمقاولة مفهوم يمثل مجموع النشاطات والعمليات التي تسعى إلى خلق أو التكفل بالقيمة الاجتماعية، من خلال توظيف المقاربات المقاولاتية والتجديد والأخذ في الحسبان المحيط الخارجي. ( Brouard Larivet et Sakka2010)

وحسب قاموس علم الاجتماع المقاولة يعرف النشاط المقاولاتي كمنطق للفعل الاقتصادي في الممتلكات.

ويعد كذلك نشاط يدور حول فوائد وعوائد موجهة نحو المستقبل وتحولات الحاضر.هو كذلك حركة ثقافية أو قيمية تقيم أو تثمن روح المؤسسة، والتي تسمح للبطالين من الاعتماد على أنفسهم في توجيه مستقبلهم المهني ليصبحوا مقاوليين (PM chauvin et M Grosseti;2014,p 64)

فالمقاولة هي فعل ممارس لخلق الثروة أو الشغل من خلال خلق أو إعادة النشاط لمؤسسة.

ويعرف المقاول أيضا على أنه فرد له شجاعة لتجسيد أحلامه وتفادي الأخطار وتوظيف كامل قدراته الإبداعية من أجل التجديد.

أما Valérie Bellavance ترى أن "المقاول هو شخص انتقل إلى الفعل"، أما Joseé Cusson يرى أن المقاول هو من يرى إمكانيات وحلول في المكان الذي يرى فيه الآخرون مشكلات ومن بعدها يوظف قدراته.

أما Christian Bélair "المقاول هو شخص ضروري للتغير في البيئة التي يعيش فيها"، أما Louis Jacques filion يرى"أن المقاول هو شخص يريد وقادر لتحويل الأفكار أو الرؤى إلى تجديد ناجع".1 (www.ladissertation.com)

كما ترى باتريسيا تورنتون patricia thornton أن هناك مدرستين فكريتين اهتمت بالمقاولة سوسيولوجيا:

الأولى: منظور العرض، تضم الأعمال التي تحلل المقاولة من خلال الاهتمام بالخصائص الفردية للمقاولين والتي تحدد المكانزمات الممكنة للترتيب والتغيير وكذلك السمات الثقافية، وتأثير الطبقات الاجتماعية والجماعات الإثنية في إنتاج الفعل المقاولاتي.

الثانية: منظور الطلب، وهي تجميع الأعمال من خلال تحليل البيئة المحيطة، وتحديد القوى الاجتماعية والمساهمة في تنمية الرغبة في المقاولاتية، والفعل المقاولاتي، والثقافة المقاولاتية. ( Henri TedongmaTeko,2017,p53)

أما مورو Moreau يحلل المقاولة إلى ثلاثة مستويات للتحليل:

1_ نموذج يركز على المقاول.

2_ نموذج يركز على الآثار الاجتماعية الطارئة .

3_ نموذج يركز على عمليات الإنشاء المؤسساتي. ( Henri TedongmaTeko,2017,p 54)

**<u>الرابط الاجتماعي والمقاولة:</u>**

إن فكرة انجاز مشروع هو فعل عقلاني نتاج لتربية عقلانية، فصاحب المشروع أو المؤسسة هو مصدر للسلع والمنافع للمجتمع، تخضع مخرجاته لقانون اجتماعي في الأساس من خلال طلب الأفراد ومن خلال عرض المقاولين، إن المؤسسة مطلوب منها أن تكون مؤسسة لها صفة المواطنة، أي فعل عمومي ومن تم

فعل اجتماعي، إن فكرة التضامن الاجتماعي التي تسعى لها المقاول هي محور لخلق تجانس اجتماعي، لان الموارد التي ينشطها الأفراد المقاولين لخلق تنمية في المجتمع. بينما كانت المجتمعات التقليدية تتميز بقوة التضامن الاجتماعي من خلال وحدة المشاعر والقيم، وحضور الرابط الدموي، فان المجتمعات الحديثة كذلك لها روابط اجتماعية جديدة استبدلت الروابط القديمة، حيث نجد الرابط الاقتصادي أين نجد الحاجة والمنافع تدفع بالناس إلى الاجتماع، والى التساند في العمل، أو تقسيم العمل الذي بدوره يؤدي إلى التخصص من أجل الحفاظ على مصالح المجتمع. إن فكرة المقاولة هي أسلوب لبناء نشاط المنتج اجتماعيا، واقتصاديا، فالمؤسسة هي منتجة لروابط جديدة للمجتمع. (Serge Ebersold,p 31-68)

**المحور الثاني: فعل المقاولة في الدراسات الجزائرية**

لقد كان موضوع المقاولة وتشكل طبقة المقاولين الجزائريين محل اسهامات ومقاربات نظرية عديدة من طرف الكثير من الباحثين، الذين حاولوا دراسة كل ما يتعلق بظروف نشأته والعوامل التي أدت إلى تشكله وخصائص الفاعلين والمساهمين فيه، كما أننا لا يمكننا التطرق لفعل المقاولة وسيرورته، بمعزل عن المراحل المختلفة لتبلور القطاع الخاص في الجزائر، لذلك واتباعا لهاته القاعدة، رصدنا بعض الدراسات التي تناولت فعل المقاولة في الجزائر، ونذكرها كالتالي:

1. **دراسة رؤساء المؤسسات لـ جان بيناف 1981:**

انطلق جان بيناف في دراسته من منطلقات سوسيولوجية، وهذا لغرض معرفة: 1- الشروط الاجتماعية التي ساهمت في تكوين وتبلور طبقة المقاولين الجزائريين، 2- الأصول الاجتماعية لهاته الفئة، بالإضافة الى 3- فهم التصرفات التي يتبناها هؤلاء المقاولون في سيرورة نشاط المؤسسة، فاعتمد على متغيرات مختلفة في البحث، منها المسار الاجتماعي، الأصل الجغرافي، المسار المهني، الانخراط الحزبي. وقد اعتمد الباحث في دراسته على عينة متكونة من 250 مقاولا ومسيرا للمؤسسة، وتوصل إلى وجود ثلاثة أنواع من المقاولين:

أ- **المقاولون التجار:**

بحيث هناك مقاولين كانوا تجارا كبارا وكانت لهم مكانة اقتصادية مرموقة قبل استقلال الجزائر، اذ كانوا في الغالب يعملون لدى الاربيين، وجد الباحث أنهم في معظم الاحيان من أصل ريفي، هاجروا منذ صغرهم الى المدينة، كانت لهم محلات تجارية ثم توجهوا الى الاستثمار في الصناعة خاصة بعد تشجيع الاستثمارات الخاصة من طرف الدولة (الرئيس هواري بومدين سنة 1966).

وهؤلاء المقاولين كانوا يؤسسون وحدات انتاجية صغيرة وينتجون في قطاعات لا تتميز باستعمال التكنولوجيا الحديثة ولا تكلفهم كثيرا من رؤوس الاموال في نفس الوقت مردودها كبير نوعا ما مثل المواد الغذائية والنسيج، كما انهم لا يحرصون على النوعية بقدر الاهتمام والتركيز على الكمية، كما أنهم في الغالب يوظفون يد عاملة قليلة تتراوح بين (50 الى 100 عامل).

كما وجد الباحث ان (هؤلاء المقاولين الذين لديهم مؤسسات كبيرة الان لازالت تطغى عليهم تصرفات التجار من خلال انخراطهم وانشغالهم ببيع منتوجاتهم عن طريق اللجوء الى فتح محلات تجارية لتسويقها (Pennef Jean,1983,p576 )

فهم يقومون بتسيير رأس مالهم اذ في الغالب لا يشاركون في العمل الانتاجي وانما يوظفون مهندسين ومسيرين مختصين في التسيير والانتاج، وتوصل "جان بيناف" الى أن المقاولين ذو الاصل التجاري هم غير مهنيين أي ليسوا متخصصين في المهنة التي يمارسونها (لا يشاركون في الانتاج بل مساهمون برأس المال).

ب- **المقاولون العمال:**

من خصائص هاته الفئة أنهم عبارة عن عمال مؤهلين،أو اطارات متوسطة كان هدفهم تحسين وضعهم المالي وتدرجهم الهرمي في سلم المكانة الاجتماعية، فانخرطوا في الصناعة وتخلو عن مناصبهم الاصلية التي كانوا يشغلونها في المؤسسة العمومية عن طريق انشاء مشاريعهم المصغرة.

وجد الباحث ان هؤلاء المقاولون هم في الغالب من أصل ريفي ومن عائلات بسيطة أو متوسطة وهم يشاركون في الانتاج على عكس الفئة الاولى أي(المقاولون التجار)، كما أن لهم تجربة كبيرة في الميدان، منهم من هاجر الى الخارج ليعود بنظرة عن الصناعة في الدول المتطورة وتعلموا بعض الامور التقنية التي تخص الانتاج والتصنيع ما سهل عليهم الانخراط في العملية الانتاجية بشكل مباشر.

كما وجد الباحث ان هؤلاء المقاولين يتميزون بتغيير نشاطهم بشكل مستمر خاصة من خلال شراء الات قديمة تستعمل في الصناعة ثم يغيروا نمط الانتاج فيلجأوا الى بيعها وهكذا، وهذا بسبب فشل او احتمال فشل المنتوج الاول وعجزها عن التعامل مع التكنلوجيا الجديدة.

توصل الباحث الى ان المقاولين الجزائريين تطغى عليهم ذهنية المؤسسة العائلية فمعظم المؤسسات هي عبارة عن شراكات عائلية أو شراكات مهنية حتى تكون لتلك المؤسسة ضغط اقتصادي في السوق لكبر حجمها، ومناصب العمل لا تعرض في سوق العمل وانما تمنح لأفراد العائلة حسب درجة القرابة والولاء وفي هذا الصدد يقول بيناف: "ان حياة المؤسسة مرتبطة بمعرفة مقاومة رب العمل لحركية الاطارات وما اذا كانوا مطلوبين بكثرة في سوق العمل أم لا". (Pennef Jean,1983,p578)

ذهنية المؤسسة العائلية تؤدي الى تقوية الروابط العائلية وتخفف من النزاعات والمشاكل خاصة في ما يخص تقسيم العمل وتوزيع المسؤوليات ومقاومة علاقات السلطة من أحد الاطراف، رغم ذلك تظهر بعض الخلافات التي قد تؤدي الى انسحاب بعض المساهمين، لكن سرعان ما يتم تدارك تلك الخلافات من طرف المؤسسة العائلية التي أثبتت قدرتها على التسيير والتنسيق وتمديد عمر دورة حياة المؤسسة.

ت- **المقاولون غير المسيرين:**

من خصائص هاته الفئة أن هؤلاء المقاولين يملكون مؤسسات لكن لا يسيرونها بأنفسهم، بحيث يهتمون بأعمال أخرى كالتصدير والاستيراد، الملكية العقارية، في الوقت الذي يوكلون مهمة التسيير الى موظفون واطارات تقنية متخصصة، أما عن أصلهم الاجتماعي فهم اولاد موظفين جزائريين خلال الفترة

الاستعمارية تمدرسوا في التعليم الثانوي او العالي لم يشاركوا في الثورة لديهم شخصيات متكتمة وحذرة مما جعل الباحث يصرح بأنه وجد صعوبة كبيرة في التعامل معهم خلال اجراء دراسته.

بعدما تعرفنا على أصول وانحدار المقاولين الجزائريين مع الباحث اعتمادا على متغير الاصل الاجتماعي، نجد ان الباحث توصل الى ان الميزة الاساسية التي يشترك فيها المقاولون هي الروح العائلية للمؤسسة، كما أن الشركات المنشأة هي في الغالب مؤسسات ذات مسؤولية محدودة SARLكما أن الشركاء يرتبطون بعلاقات اخرى خارج المؤسسة، ومن حيث تراكم رأس المال فانه يأتي اما من مجموعات عائلية صغيرة او عن طريق الادخار وأصله من التجارة خاصة تجارة الجملة.

2. **<u>دراسة جيلالي اليابس حول ذهنية المقاولين الجزائريين، وتكون الطبقة البورجوازية الصناعية:</u>**

قام هذا الباحث بدراسة المقاولين على أنهم طبقة اجتماعية برجوازية صناعية صاعدة واعطى لنا اهم مواصفات المقاول الجزائري وكيفية ممارسة نشاطه، وقد عرف المقاول على انه: "الشخص الذي تتمثل وظيفته الاساسية في تجميع وتسيير واعادة انتاج العوامل المكونة للعملية الانتاجية". (Djillali Liabes,1988,p 144)

وجد الباحث ان الدولة ساهمت في تشكل هذه الطبقة من خلال فسح المجال لها وتوفير الجو الملائم لنشأتها وهذا ما أدى الى خلق نوع من الولاء للدولة من طرف هذه الفئة وهذا من خلال انسجامها معها (إيديولوجيا، اقتصاديا، سياسيا، قضائيا، اجتماعيا..). هذا الانسجام مع السياسي نابع من وعيهم أن السياسة نشاط يساعد على تسهيل استثماراتهم وإنعاش أرباحهم.وبناء على ما سبق فقد اعتمدت هذه الطبقة في تبرير نشاطها على ثلاث أبعاد أساسية:

أولا: المشاركة في بناء الدولة من خلال تبني خيار المساهمة في تطوير الاقتصاد الجزائري باستعمال استراتيجية مفهوم المواطنة وهذا من خلال السعي لإنشاء اقتصاد متطور ومستقل وسوق وطنية، ولم يتحقق لها ذلك الا من خلال احتكار القطاع الخاص لبعض القطاعات الاستهلاكية كالبناء مثلا.

ثانيا: استراتيجية اللاسياسوية على اعتبار ان الدولة من يحتكر السياسة، وبالتالي وجد الباحث ان المقاولين انخرطوا في علاقة غامضة مع الدولة، بين خضوع تارة واستقلالية تارة أخرى، فمن جهة يطالبونها بحماية التجارة والصناعة ومن جهة أخرى ينتظرون منها اعادة النظر في نظامهم وتعديل مكانتهم، وأحيانا يريدون ابعادها تماما لتترك لهم الحرية في أخذ المبادرة.

ثالثا: التركيز على أهميتها الاجتماعية من خلال محاربة البطالة فضلا على أنها تكمل القطاع العام وتلبي طلب السوق، لكن الواقع يثبت بأن القطاع الخاص يلجأ في أغلب الحالات الى استغلال اليد العاملة من أجل تعظيم هامش الربح واسترجاع فائض القيمة وهذا من خلال عدة استراتيجيات كشف عنها الباحث:

- ✓ السياسة التوافقية لتسيير الموارد البشرية، عن طريق القيام بمزج ما هو حديث (المصنع، التكنولوجيا، علاقات الانتاج) بما هو تقليدي (استخدام علاقات السيطرة التقليدية من علاقات قبلية وجهوية باستخدام ما يسميه الباحث بـ (التوظيف الانتقائي) وهذا من أجل التخفيف من حدة المقاومة العمالية وتجفيف منابع تشكل النقابات العمالية، التي قد تتبنى خيار رفض الاوضاع القائمة وتتبنى المطالبة بتغييرها.
- ✓ من أجل ضبط سلوك العمال يقوم صاحب المصنع باستغلال العوامل الدينية كوسيلة لتحقيق الاندماج كتخصيص أماكن للعبادة أو شراء أضحية العيد للعمال، من أجل كسب ولائهم وجعلهم يتقنون عملهم.
- ✓ الاستغلال المزدوج للمكانة الاجتماعية للمرأة، وهذا بتشغيل المرأة في المنزل دون التصريح بها خاصة في بعض المهن ذات الخصوصية منها مهنة الخياطة.

وبالتالي فان المقاول الجزائري يغرف من القيم الاجتماعية مع يتوافق مع سياسته الإنتاجية ويقوم بإعطائها طابعا عصريا ثم يسعى لتوظيفها لصالحه لكي يستغل اليد العاملة.

كما وجد الباحث ان المقاولين يسعون أحيانا الى تشكيل تكتلات عن طريق انشاء شراكات عائلية تقليدية، مبنية على توحيد الاهداف ورؤوس الاموال، وقد ساعدهم في ذلك وجود البنوك التي سهلت لهم هذه المهمة بضمان التمويل، ويهدفون من خلال هذه الشراكات الى توسيع نشاطهم وجعل مؤسساتهم ذات وزن على الصعيد الخارجي.

3. **<u>دراسة أحمد بو يعقوب، بروز المقاولين الجدد:</u>**

يرى أحمد بو بعقوب (Bouyacoub A;1979,p74) أن الإصلاحات الاقتصادية، سمحت بظهور عدد من المقاولين الجدد، الذي يختلفون كلية عن المقاولين السابقين في عهدة الاقتصاد الموجه، بحيث يبرز فريق من المقاولين الجدد ببطء في الساحة الاقتصادية، خصائصهم الأساسية تتعلق بمستواهم التعليمي المعتبر، والتجربة المتراكمة في القطاع العمومي، عدد كبير مهم من هؤلاء المستثمرين كانوا إطارات قديمة في المؤسسة العمومية. (Bouyacoub A;1979,p75)

فهذه الفئة ظهرت في فترة الانتقال من الاقتصاد الموجه إلى اقتصاد السوق، الذي لم تتضح معالمه بعد، واتسمت بتداخل الدولة في شؤون الاقتصاد من جهة، ومن جهة أخرى تسعى إلى تحريره والدخول في الاقتصاد الحر، فيرى أحمد بو يعقوب أن المقاولين الجدد ظهروا في مرحلة انتقالية اتسمت بميكانيزمات هذا التحول.

ويرى أيضا أن هؤلاء المقاولين الجدد من الجيل الثاني للمقاولين السابقين أو القدامى الذين أنشأوا مؤسسات صغيرة ومتوسطة على أساس التشجيعات والضمانات التي أقرها قانون الاستثمار لـ 1966، هؤلاء الورثة لديهم خصائص مختلفة عن آبائهم المؤسسين للمؤسسة، هم أكثر تعليما وأكثر تأهيلا مهنيا (Bouyacoub A;1979,p76) ويرى أيضا أن المؤسسات المنشأة هي في الكثير من الأحيان قائمة على عقد

شراكة بين أصحاب رؤوس الأموال وبين حاملي التأهيل المهني، فهي علاقة مصلحة بين الطرفين، أن يقدم صاحب التأهيل الخبرات والمعارف التي راكمها في القطاع العمومي، ويقدم صاحب رؤوس الأموال الدعم المالي الذي يرى أن دوره قد حان في ظل التحول الى اقتصاد السوق، فهناك من يرى أن التحول من العام الى الخاص خدم فئات في المجتمع، أطلق عليها اسم "فئات بورجوازية" "أصحاب رؤوس الأموال"، هذه الأخيرة كانت ترى أن مكانتها أصبحت قوية بقدر الكفاية، لتسمح لها بالشروع في اصطلاحات ذات محتوى نيوليبرالي والاستمرار في تحطيم الجهاز الإنتاجي الوطني. ( أحمد شفير،1999،ص 107)

إذن فالمقاولين الجدد هم قطيعة كاملة عن المقاولين القدامى، فالظروف السياسية والاقتصادية سمحت لهم بالولوج في النشاط الاقتصادي، وقد سمحت اتفاقيات stand-by 1991-1994 ومع تحرير التجارة الخارجية وتحرير الأسعار إلى تشكل هؤلاء المقاولين، الذي يزاول الكثير منهم النشاط التجاري.

**4- دراسة نورين جلوات حول الفعالية الاقتصادية للمقاول بين العقلانية الأوربية والممارسات المحلية للمجتمع:**

من خلال محاولة لرصد العلاقة بين عقلانية مرتكزة على تقاليد عمل منظمة ومقننة وفق العقلانية الأوربية وبين ممارسات محلية لاعقلانية، قام الباحث باستقصاء مونوغرافي من أجل فك مدى التعايش بينهما، من خلال تدخل المحيط باعتبار ان لكل مقاول (مؤسسة) ظروف خاصة بها تربطها مع محيطها.

يتعلق الامر بمقاول كان رئيسا حرفيا أو تاجرا في احدى المدن الجزائرية قام بتحويل نشاطه الى الصناعة سنة 1966، بعدما اختار نشاط النسيج، قد حظي اختياره بالاحترام والتقدير من طرف بيئته (الجماعة التي ينتمي اليها)، رصد لنا الباحث من خلال هذه الدراسة مجموعة من الخصائص تمس مختلف العمليات المرتبطة بالعملية الانتاجية والساهمة في سيرورتها:

1. **التوظيف:**

تتم عملية التوظيف في المؤسسة على أساس الشبكة العلائقية التقليدية خاصة بالنسبة للمناصب الحساسة في المؤسسة كلها تخضع للانتقاء من طرف العائلة (الابن، الاخ، ابن الاخ، الصهر...الخ)، وقد تتعدى العائلة في حالة بعض الوظائف غير الحساسة لتشمل بعض افراد الجماعة التي كان ينتمي اليها المقاول والذين كان يتعامل معهم في إطار مهنته عندما كان تاجرا.

حاول التاجر تكوين فريق من التقنيين عن طريق الاستعانة بالتكوين، عن طريق ابتعاث مجموعة من العمال المنتقون من الشبكة العائلية خارج الوطن للاستفادة من تربص تكويني، وبذلك تشكل عنده أول فريق من التقنيين، لكن الملاحظ ان بعض النساء تأثرن بالعلانية الاربية وبمظاهر الحياة هناك وظهر ذلك من خلال نمط اللباس والسلوك ما تعارض مع الانضباط الروحي المفروض في المؤسسة، كما اتهمن بأنهن تعدين على القيم المحلية وتجاوزنها كونهن ابتعثن لمحاكاة التكنولوجيا وليس لتبني القيم الاربية والتأثر بها، مما جعل المقاول يقوم بطردهن من المؤسسة.

اذن تخضع عملية التوظيف والترسيم والترقية الى منطق الاسم والقرابة من المقاول أكثر مما تخضع الى الشهادة او الكفاءة، اذن الاسم يسبق الكفاءة في منطق التوظيف في هذا النوع من المؤسسات.

يتبن ان المشروع الخاص المجسد في شخصية رب العمل الذي يأخذ صفة الشيخ، يقوم بتوظيف واستغلال خصوصيات المجتمع لخلق عوامل نجاحه، هذا النجاح الذي يعتمد على الجانب الاجتماعي الرمزي أكثر من الجانب المادي فعملية التوظيف وما يتبعها تخضع لقاعدة من تكون بالنسبة لشبكة أقارب رب العمل ثم لشبكة علاقاته، مما يسهل خلق مسعى الوفاء لدى العمال، ومن ناحية أخرى وجود واستمرار المؤسسة يتعلق برأس مال رمزي قائم على شبكة من العلاقات ضمن سيولة التبادل بين المؤسسة ومحيطها.

**5- دراسة أحمد هني حول علاقة الاستعماروالقيم المستحدثة بالممارسات الاجتماعية قبل الصناعة:**

انطلق الباحث من تساؤل حول علاقة الاستعمار والقيم المستحدثة بالممارسات الاجتماعية قبل الصناعة. ثم هل هذه الممارسات التي تنعت عادة بالمتخلفة تكبح التصنيع في الجزائر أم انها نمط يدعم التصنيع؟:

1. **رب العمل الشيخ:**

يسعى رب العمل الشيخ الى ضمان استمرارية وجود مؤسسته من خلال عاملين أساسيين تطرق لهما الباحث هما استقرار التموين والعمال، يتحقق العامل الاول انطلاقا من استغلال شبكة من الزبائن، اما الثاني فبتحقق له من خلال خلق الوفاء لدى العمال حتى لا يتسببون في كبح الانتاج وتسريب أسرار العمل، وبما أن الاجر لا يحقق هذا الغرض بالضرورة بالإضافة الى ان كل رفع للكتلة الاجرية يؤدي الى تقليص حجم الارباح، فانه يسعى الى استراتيجيات اخرى بديلة منها توظيف أفراد من عائلته، قبيلته أو قريته، منح العمال مجموعة من الامتيازات الرمزية كالتكفل جزئيا بمصاريف الزواج أو الحج، حل بعض مشاكلهم، تفقد أحوالهم، هذه الممارسات تكسبه صفة الشيخ فضلا عن كونه رجلا متدينا وبذلك يتحصل على مكانة اجتماعية ويتحدد دوره على مستوى كل من عائلته ومؤسسته من خلال ماسبق، اذ يمكنهم من تحديد مكانتهم الاجتماعية، ويكون بالنسبة اليهم النموذج المثالي والقدوة والمرجعية ( Henni (Ahmed,1993,p 26

2. **عملية التوظيف:**

اكتشف الباحث من خلال دراسته ان الكفاءة الفعلية للمؤسسة ليست اقتصادية وانما اجتماعية، بحيث اذا اراد رب العمل تحقيق المكانة الاجتماعية على حجم وجودة الاشياء فان مصيره الفشل، فقد اكتشف أهمية الامور الرمزية فنجده يعمل على اعادة توزيع الرمزي بما يسمح باستمرار المؤسسة، ويبني استراتيجيته في التوظيف وتسيير المورد البشري على أساس ما يسميه الباحث بالنمط الاخوي هذا النمط يسعى رب العمل من خلال بتزويد المؤسسة بعمال اوفياء وبذلك تدعم الجماعة المؤسسة من خلال العمل الفعال، وقد اشار الباحث الى ان هذا النمط يعمل حسب حجم وطبيعة المؤسسة وكأنه في علاقة طردية

مع الحجم لأنه كلما كبر حجم المؤسسة يقل مخزون التوظيف من العائلة او القبيلة فيستعين رب العمل بالتوظيف من خلال المجموعة ما يخلق صراعات من اجل السيطرة.

3. **النموذج الفيبري والنموذج الأخوي:** ينطلق الباحث من فرضية مفادها ان العلاقة الاجرية لا تعمل على النمط الاقتصادي كمنتج لرأس المال ولكن تعمل على النمط الاخوي، اذ يرى ان رأس المال المنتج في هذه العلاقة هو رأس مال الشبكة وهو مخزون من العلاقات وجودها هو الذي يمنح استمرارية وتفوق للمؤسسة فكلما كانت هذه العلاقات متعددة وفي شبكة واسعة كلما نمت امكانية توسع ونمو المؤسسة ومنه يكون لهذه الشبكة دورا مزدوجا حسب تحليل الباحث، فهي تضمن توظيف أعضاء من نفس الجماعة كما انها تسمح بضمان استمرار وزيادة التموين بالتجهيزات والمواد الاولية.

العمل وفق النموذج الفبري ليس مرتبط بالعلاقات الاجتماعية بل هو مجرد فهو كمية مجردة لنشاط الفرد غير المعرف اي دون هوية شخصية، هنا لا تهم الاسماء بقدر ما تهم الكفاءة والوظيفية والمنصب، وهو اذن عمل بيروقراطي بالمعنى الفبري، الذي يحاول من خلاله الوصول الى تحقيق تنظيم على أعلى درجة من الكفاءة وهو ما جعله يصف البيروقراطية بالنموذج المثالي للتنظيمات الادارية، وهذا النموذج يقوم على مجموعة من الأسس: ( ج أكول،2014،ص : 55)

- ✓ تنظيم مستمر للوظائف المحكومة بالقواعد التنظيمية.
- ✓ مجالات الكفاءة محددة، أي التخصص في العمل، ودرجة السلطة المخصصة والقواعد هي التي تحكم ممارسة السلطة.
- ✓ الترتيبات الهرمية للوظائف، أي حيث مستوى معين من الوظائف يخضع لرقابة مستوى تال أعلى.
- ✓ التعيين في المناصب يقوم على أساس الكفاءة التقنية.
- ✓ فصل المديرين عن ملكية المؤسسة.
- ✓ المناصب الرسمية موجودة بذاتها ولا يملك الموظفون حقوقا في مواقع وظيفية خاصة.
- ✓ تصاغ القواعد والقرارات والتدابير وتسجل كتابة.

اما في مجتمعنا الفرد لا يعرف ككمية وانما كعلاقة بحيث يستمد قيمته من نوعية هذه العلاقات ومن المكانة التي يحتلها في شبكة العلاقات، فمسألة من تكون تبقى اولية في سير الاجتماعي اي الاسم سابق للكفاءة لأنها تتماشى مع المكانة التي يحتلها الفرد، وحتى الكفاءة ان وجدت في التصنيف فهي تبقى كفاءة التحكم في الاشياء والافراد وليس كفاءة الانتاج او تحويل المادة، وضمن هذه السيرورة يتم تجاهل الاسماء التي لا تدخل في سيرورة التعيين المتبادل، فالإجابة على من هو الاحسن لا تتم حسب معيار الانتاج المادي، العلمي او الفني ولكن حسب قاعدة الاسم ومنه سيولة الاسماء هي التي تتحكم في السيولة المادية، فكل من التوظيف، الترسيم والترقية تتم بالتعرف على الشخص من خلال الاسم وليس الشهادة او الكفاءة.

يتبين ان الشيخ استطاع أن يوظف ويستغل خصوصية المجتمع لخلق عوامل نجاحه هذا النجاح الذي يعتمد على الجانب الاجتماعي الرمزي أكثر من الجانب المادي، ومنه يصبح وجود واستمرارية المؤسسة تخضع لرأس مال رمزي قائم على شبكة العلاقات التي تسهل وتضمن سيولة العلاقات بين المؤسسة ومحيطها السوسيواقتصادي.

أما فقد نظر الى المقاول كوظيفة فهو الذي يحدث التجديد والابتكار الذي يعمل على تحديث جميع عناصر الانتاج والعمل والمال ويرفع من مستويات الانشطة والحياة الاقتصادية. كما يرى ان المقاول هو فاعل التغيير وتنفيذ التركيبات الجديدة، كما يرى ان دور المقاول يتمثل في الاصلاح او الثورة على روتين الانتاج باستغلال اختراع ما، او عموما امكانية تنفيذ تقنية غير منشورة، انتاج سلعة جديدة او استغلال منبع جديد للمواد الاولية او اعادة تنظيم فرع صناعي ما ( عبد الرحمن عبد الله محمد، 1997،ص 444 ).

**6- دراسة لـ آن جيلي: النماذج المختلفة للمقاولين الجز ائريين:** ( Gillet A,2004, p 51)

أرادت هذه الباحثة أن تدرس من خلال هذا البحث، الأصل الاجتماعي والمهني للمقاولين الجزائريين، والشروط التي أدت الى بروز هاته الفئة، وما هو تأثير الأقطاب الاجتماعية المختلفة في تكون وتبلور هؤلاء المقاولين؟

لقد توصلت هذه الباحثة الى وجود خمسة أنواع أساسية للمقاولين (وهذا من خلال دراسة لحوالي 20 مقاول) تتمثل في: المقاول الإطار، المقاول الوريث، المقاول ذو أصول مقاولاتية، المقاول المغترب، والمقاول العامل. ( Gillet A,2004, p 52)

**بالنسبة للمقاول الإطار:** أطلقت عليهم هاته الصفة، كونهم إطارات سابقين في مؤسسات عمومية، أين راكموا معرفة وخبرة مهنية عالية، ويمتازون بمستوى تعليمي وتكويني عالي، شغلوا مناصب هامة، مكن لهم من امتلاك رأسمال اجتماعي (في شقه العلائقي المهني)معتبر ومهم، وظف في انشاء مؤسسات خاصة، تتميز هاته الفة بالسن العالي نوعا ما فهي تفوق 50 سنة.

**المقاول الوارث:** ترى الباحثة أن هذا النوع من المقاولين ينقسم بدوره الى ثلاثة أنواع، النوع الأول يتمثل في في شباب في مقبل العمر، ورثوا مؤسسات عائلية، ومستواهم التعليمي العالي مكنهم من استحداث معايير تسييرية وتنظيمية حديثة في المؤسسة، النوع الثاني ويتمثل في فئة يتراوح سنهم بين 40 و50 سنة، مستواهم التعليمي ضعيف، إلا أنهم يمتلكون معرفة وخبرة مهنية عالية، يقومون بإعادة إنتاج نفس خصاص العمل الموروث عن الآباء بدون ادخال تغييرات جديدة، أما النوع الثالث ورثوا عن آباهم الخبرة المهنية والعلاقات المهنية (رأسمال اجتماعي) واستفادوا من اعنات الدولة فيما يتعلق بإنشاء مؤسسات مصغرة خاصة بهم، أي ورثوا قيم ومعايير المقاولة ووظفت في مؤسساتهم المصغرة.

**المقاول ذو أصول مقاولاتية:** هؤلاء يتعدى سنهم 50 سنة، أنشؤوا مؤسسات على أنقاض مؤسسات قديمة بتغير نماذج العمل والتسيير، هي مؤسسات عائلية، تشغل جميع أفراد العائلة (تعمل على الحفاظ على اسم العائلة).

**المقاول المغترب:** فيتمثل في الفئة التي استثمرت مدخراتها بعد عودتها من المهجر، في إنشاء مؤسسات خاصة، يمتلكون خبرات معرفية ومهنية، استفادت من التسهيلات والاعانات المقدمة من طرف الدولة لأجل الاستثمار.

**المقاول العامل:** هم فئة من المقاولين، كانوا سابقين في القطاع العمومي او الخاص ونتيجة للظروف الاقتصادية والسياسية التي مرت بها الجزائر وما صاحبها من إصلاحات اقتصادية قاسية، أدت بهم إلى فقدان مناصب عملهم جراء التسريح أو التقاعد المسبق، انشؤوا مؤسسات للخروج من البطالة، تتميز هذه الفة بمعارف مهنية وتقنية عالية.

لقد توصلت الباحثة آن جيلي على غرار الباحثين السابقين، إلى أن المقاولين الجدد نشؤوا في فترة التحول من الاقتصاد الموجه الى اقتصاد السوق، أين سمحت القوانين للاستثمار على إنشاء مؤسسات خاصة، كما نوهت بمساهمة القطاع العمومي في تنمية الخبرات المهنية، والقدرات المعرفية اللازمة لإنشاء المؤسسات، أي اكتساب المقاولين الجدد لرأسمال اجتماعي قوي متشكل من شبكة من العلاقات المهنية، بالإضافة إلى هذا، تؤكد على دور العائلة القوي في عملية إعادة الإنتاج الاجتماعي للقيم والمعايير الخاصة عن المقاولين القدامى الذين ظهروا في الاقتصاد الموجه والتي لها علاقة مباشرة بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلاد.

**خاتمة**

يمكن القول أنه بعد استعراضنا لنماذج الباحثين المتعلقة بالمراحل المختلفة لسيرورة فعل المقاولة، وأهم العناصر التي تشكل هذه العملية، تبين لنا وبكثير من المصداقية أن هذا الفعل يتطلب شخصية استثنائية وفريدة تحمل خصائص وسمات لا نجدها عند عامة الناس، فسيرورة فعل المقاولة يرتكز على فاعل مركزي ومحرك أساسي للعملية الإنتاجية، يسعى داما إلى تحقيق الأهداف، التي عبر عنها الكثير من الباحثين بالدوافع المختلفة، كتحقيق الذات، المكانة الاجتماعية، الحرية، الاستقلالية... والتي تختلف من مقاول لآخر، أين تلعب البيئة الاجتماعية والثقافية والاوساط الاجتماعية المختلفة(المدرسة، العائلة، المؤسسة، المحيط، المهنة...) كمحفزات لهذا الفعل.

ولهذا شغل موضوع المقاول وفعل المقاولة العديد من الباحثين والدارسين الذين استعملوا متغيرات مختلفة في البحث، فهناك من اعتمد على خصائص وسمات المقاولين كمتغيرات مفسرة لهذا الفعل، وهناك من اعتمد على الأصل الاجتماعي والمهني، ولجأ آخرون الى البحث عن تأثير الأقطاب الاجتماعية المختلفة وتأثيرها في فعل المقاولة، وهناك من اعتمد كذلك في الدراسة على الدوافع النفسية والاقتصادية والسوسيو ثقافية، وعلاقتها بتبلور هذا الفعل.

كما تنوعت الدراسات التي تناولت المقاول وفعل المقاول في الجزائر، فقد جاءت متنوعة هي الأخرى من حيث اشكاليتها ومتغيرات البحث فيها، فهناك من الباحثين من اعتمد على المسار الاجتماعي الشخصي للمقاولين، كمحددات لفعل المقاولة، وهناك من اعتمد في تحليله على المقارنة بين خصائص المقاولين

القدامى والمقاولين الجدد مبرزا اهم أوجه التشابه والاختلاف فيما بينهم، بينما ذهب آخرون الى ربط تكون البرجوازية الصناعية بمسار الاقتصاد العام.

وكنتيجة لهاته التحولات، جاءت معظمها تستدل بدور القطاع العام في تبلور هذه الفئة، وبدور الرأسمال الاجتماعي في شقيه العلائقي المهني والعالي في سيرورة فعل المقاولة.

**المراجع :**


1. Alain FAYOLLE, Le métier de créateur d'entreprise, Edition d'organisation, Paris, 2005..
2. Brouard, larivet,et Sakka,Entrepreneuriat Social et Participation Citoyenne,Canadien journal of Non profit and social Economy Research Revue canadienne de recherche sur les OSBL et l'économie sociale, France, 2010.
3. Dictionnaire Sociologique de l'entrepreneuriat, PM chauvin, M. Grosseti, PPZalio(Eds)/Presses de sciences Po, Paris(2014)/.
4. Exposé de sociologie de l'entreprenariat, par Simson25Mars2015.2751MOTS (12pages) www.ladissertation.com
5. Henri Tedongma Teko,sociologie de l'entrepreneuriat, Editions Connaissances et savoirs, France,2017,p53*https://books.google.com/.../Sociologie_de_l_entrepreneuriat.html*
6. Serge Ebersold: la naissance de l'inemployable ou l'insertion aux risques de l'exclusion, France[1]Pennef Jean. Les chefs d'enterprises en Algérie : In Acte du colloque : Entreprises et entrepreneurs en Afrique , Harmattan , Paris , 1983
7. Djillali Liabes,Entreprises, entrepreneurs et bourgeoisie d'industrie en Algérie : elements d'une sociologie de "l'entreprendre" DEA. 1988.tome 1.
8. Bouyacoub (A)," les caractéristique de la gestion des ressources hummaine dans les PME en algerie de la transition vers l'économie de marché", Les cahiers du CREAD, N Spécial, Alger ? 1997.
9. أحمد شفير، التحولات الاقتصادية والاجتماعية آثارها على البطالة والتشغيل في المغرب العربي، معهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل، الجزائر، 1999
10. Henni Ahmed. Le Cheikh et le patron ; Usage et la modernité dans la reproduction de la tradition, office des publications universitaires, Alger, 1993
11. ج.أكول، الادارة في النظرية والتطبيق، ترجمة: حسام الدين خضور، دار الفرقد، سورية، ط2، 2014
12. عبد الرحمان عبد الله محمد، علم الاجتماع الاقتصادي، ج2 في ضوء النظام العالمي الجديد، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997.
13. Gillet (A), Entrepreneurs Algeriens, Un groupe hétérogéne entre logique familiale et logique économique, l' harmattan, paris, 2004.